شرح العقيدة الواسطية

الدرس الثامن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أمّا بعد:

فسيبدأ معنا المؤلف رحمه الله بالصفات السلبية بعد أن انتهى من الصفات الثبوتية؛ وذلك لأنّ صفات الله تبارك وتعالى تنقسم إلى قسمين؛ ثبوتية وسلبية، ونعني بالثبوتية التي أثبتها لنفسه كصفة العلوّ وصفة السمع وصفة البصر والعلم والقدرة.. إلى آخره، وقد تقدم الكثير منها؛ ذكرها الإمام ابن تيمية رحمه الله وذكرناها في الدروس الماضية،

وقسّمنا هذه الصفات الثبوتية إلى قسمين:

صفات ذاتية، وصفات فعلية.

القسم الثاني وهو الصفات السلبية: ويعني العلماء بالسلبية أي: المنفية؛ يعني: التي نفاها الله تبارك وتعالى عن نفسه، والصفات الثبوتية: التي أثبتها الله لنفسه، أثبتها لنفسه لأنّها صفات كمال مطلق لله سبحانه وتعالى؛ فلذلك أثبتها لنفسه، والصفات السلبية صفات نقص؛ لذلك نفاها الله تبارك وتعالى عن نفسه، كصفة الموت وصفة الجهل وصفة النسيان وصفة السهو وما شابه من الصفات التي سيأتي معنا ذكر بعضها.

وقبل أن نبدأ بما ذكره المؤلف رحمه الله نذكر قاعدتين في ذلك كتأصيل للمسألة، ثم بعد ذلك نذكر الأمثلة التي ذكرها الإمام ابن تيمية رحمه الله.

يعجبني بحقّ كتاب "القواعد المثلى" للشيخ ابن عثيمين رحمه الله؛ وذلك لأنّه عبارة عن تقعيد وتأصيل لعلم الأسماء والصفات، فإذا أُصِّل الشخص وقعَّد تقعيداً جيداً وتعلم هذا الكتاب بشكل متقن؛ انتهى عنده هذا العلم وأُتْقِنَ، وما بقي عليه إلّا الإكثار من الاطلاع على نصوص الكتاب والسنة التي فيها إثبات الأسماء والصفات.

فمن القواعد التي تُذكر في مسألة الإثبات والنفي للصفات:

القاعدة التي يذكرها أهل العلم في مسألة الأغلبية؛ في الغالب في الكتاب والسنة يأتي

ذكر الصفات بالإثبات بالتفصيل والنفي بالإجمال، هذا في الغالب في القرآن والسنة، أما طريقة أهل البدع فتخالف ذلك؛ أهل البدع في الغالب يأتون بإثبات مجمل ونفي مفصل، هذه طريقة أهل البدع في تعاملهم، لأنّهم بعيدون جداً عن كتاب الله وعن سنة رسول الله ﷺ، أمّا في الكتاب والسنة فمن تأملهما؛ وجد أن الغالب من الآيات والأحاديث التي تأتي في ذلك هي في حال الإثبات مفصلة وفي حال النفي مجملة، وأحياناً يخرج هذا عن الغالب لحكمة أرادها الله تبارك وتعالى كردّ شبهة -مثلاً- من شبهات أهل البدع وقولٍ من أقوالهم الباطلة؛ فيأتي التنصيص والتفصيل في مسألة النفي كما في قول الله تبارك وتعالى: {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} هنا جاء نفي مفصل، نفي الولد؛ لماذا؟ لأنّ الكفرة ادعوا بأنّ الله سبحانه وتعالى له ولد، فنفى الله سبحانه وتعالى هذا الشيء؛ فيأتي النفي مفصلاً أحياناً ولكن ليس هو الغالب؛ هذه القاعدة التي أردنا أن ننبه عليها وهي القاعدة الأولى، ونمثل على ما ذكرنا بشكل سريع.

الإثبات المجمل كقول الله تبارك وتعالى {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} أي: لله الصفات الكاملة، صفات الكمال لله تبارك وتعالى، وهنا لم يتحدث عن صفة معينة؛ ذكر بالإجمال أنّ الصفات التي هي ثابتة لله تبارك وتعالى هي صفات كمال له.

كذلك الأسماء قال: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} إثبات مجمل في هذا، لكن هذا القليل، أمّا الكثير والغالب في حال الإثبات فهو التفصيل؛ كقوله عز وجل: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} أثبت اسم الرحمن واسم الرحيم وصفة الرحمة لله تبارك وتعالى.

وكصفة العلم، صفة القدرة، صفة السمع، صفة البصر.. الخ، من صفات وأسماء مثبتة لله تبارك وتعالى طافحة بها أدلة الكتاب والسنة؛ هذا تفصيلي؛ يتحدث عن اسم معين وعن صفة معينة هذا تفصيلي، إذا تحدث عن الأسماء وعن الصفات بشكل عام؛ هذا يكون إجمالياً، هذا بالنسبة للإثبات وأمّا بالنسبة للنفي المجمل ففي قول الله تبارك وتعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} هنا لا يتحدث عن شيء معين، تحدث بشكل عام مجمل،

فهذا نفي مجمل، أمّا النفي المفصل فكما مثلنا: {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} هذا نفي مفصل، وكنفي صفة النسيان، صفة السهو، نفي صفة الموت، مثل هذا كلّه يعتبر نفياً مفصلاً؛ هذا تمثيل على ما ذكرنا.

بقيت القاعدة الثانية التي نريد أن ننبه عليها قبل أن نبدأ بمادة الكتاب وهي:

أنّ ما نفاه الله تبارك وتعالى عن نفسه في الكتاب أو نفاه النبي ﷺ عن ربنا تبارك وتعالى في سنته؛ كلّها صفات نقص في حقّ الله تبارك وتعالى كالموت والنوم والجهل وغيرها، وهذه عندنا يجب فيها إثبات ضدها؛ وإلّا لما كان في ذلك تنزيهاً لله تبارك وتعالى ووصفاً له بالكمال؛ لا بدّ من هذا حتى يُثبت الضد؛ لأنّ النفي لا يكون كمالاً دائماً، أحياناً النفي يكون فيه نقص وعيب كما قال الشاعر في قبيلةٍ:

(قُبَيِّلَةٌ لا يَغدُرُونَ بِذِمَّةٍ وَلا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلِّ)

إذا قرات هذا الكلام؛ توهَّمْتَ أنّه يمدح تلك القبيلة فقد نفى عنها الظلم، والله سبحانه وتعالى قد نفى عن نفسه الظلم؛ لكنّ النفي هنا غير النفي هناك، فهذا قد نفى عنها الظلم لا لأنّها لا تظلم، لا لكمال عدلها، ولا لعدلها أصلاً؛ ولكن لضعفها، وعدم قدرتها على ذلك، فإذاً كان هنا نفي وهناك فيه نفي؛ لكن هذا النفي ليس كذاك النفي؛ لذلك إذا أردت أن تنفي فيجب أن تثبت الضد المخالف- وهو الكمال- فلمّا تنفي الظلم عن الله تبارك وتعالى، لماذا تنفيه؟ تنفيه لإثبات كمال عدل الله تبارك وتعالى؛ لأنّ ضد الظلم: العدل، فتثبت بذلك كمال عدل الله تبارك وتعالى، إذن الصفات السلبية لا تُنفى إلّا مع إثبات الضد حتى تكون مُنزِهاً لله تبارك وتعالى وواصفاً له بصفات الكمال؛ هذه هي القاعدة الثانية التي أردنا أن نذكرها في هذا الباب، وبذلك نكون قد أصلنا مسألة الصفات السلبية.

ونأتي الآن إلى تفصيل المؤلف رحمه الله.

قال: {فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا}

تفصيل القول في تفسير الآيات قد تكلم فيه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عندكم في الشرح بما لا يجعل معه مجالاً لقول قائل؛ فأنهى الأمر، وقد فسّرها بطريقة سهلة ميسرة وتامة فيما نحسب والله أعلم؛ لذلك نحن نذكر من الآية شاهدها؛ لماذا ساقها المؤلف، قال: {فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} هذا استفهام؛ لكن ما المراد منه؟ هل يراد من هذا الاستفهام العلم، الله سبحانه وتعالى عالم بكلّ شيء فلا يحتاج أن يستفهم من أحد شيئاً، فهذا الاستفهام المراد منه النفي، {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} أي: لا يوجد له سميٌّ، هذا معنى الكلام، والسميُّ هو: الشبيه والنظير، فنفى عن نفسه الشبيه لكماله المطلق تبارك وتعالى.

قال: (وقوله: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ})

أي: ليس لله تبارك وتعالى من يكافئه؛ فليس له مساو؛ لكماله تبارك وتعالى.

قال: ({فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ})

النّد: هو المشابه والمكافئ، فليس له ند تبارك وتعالى، ليس له نظير، ليس له مثل؛ لذلك نهى عن جعل أحدٍ نداً له، لماذا؟ لكمال الله تبارك وتعالى.

قال: ({وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ})

يتخذون أشباهاً ونظراء لله تبارك وتعالى، وهذه كالتي قبلها فيها نفي النّد؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى يُنكر على الذين اتخذوا من دونه أنداداً؛ إذن فلا يوجد لله سبحانه وتعالى أنداد.

ثم قال: ({وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا})

نفى الله تبارك وتعالى عن نفسه في هذه الآية ثلاثة أشياء:

الأول: الولد: {لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا}

الثاني: الشريك {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ}

الثالث: الوليّ من الذلّ {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ}

نفى هذه الأشياء الثلاثة؛ لماذا؟ لكمال ملكه، وكمال غناه، وكمال قدرته؛ فهو غني عن الولد، فهو يملك كلّ شيء، وهو قادر على كلّ شيء، الذي يأتيه الولد هو بحاجة إلى هذا الولد كي يعينه ويساعده، والله سبحانه وتعالى غني عن ذلك؛ فهو لا ولد له ولا شريك له ولا له ولي من الذل كي يعزّه؛ لله العزة الكاملة، فليس بحاجة إلى من يأتيه بالعزّة، فنفى الولي من الذلّ؛ لكنّه لم ينفي الولي مطلقاً، الله سبحانه وتعالى أثبت الولاية: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }، "من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب"؛ إذن قد أثبت الله تبارك وتعالى الولاية ولم ينفها هناك؛ لكن نفى هنا الوليّ من الذّل؛ فإذن المنفية هي الولاية الخاصة؛ وهي أن يوجد له ولي معين ونصير يرفعه إلى العزّ من الذّل، تنزه الله تبارك وتعالى عن هذا؛ فالله سبحانه وتعالى عزيز موصوف بكمال العزّة {فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا}

ثم قال: **({يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ})**

يسبح: أي ينزه الله عن جميع النقائص، {مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} هذا يشمل الجميع، إمّا تنزيهٌ بلسان الحال أو بلسان المقال؛ كلّهم ينزهون الله تبارك وتعالى عن النقائص؛ لماذا؟ لأنّه صاحب الكمال، صاحب صفات الكمال، لا نقص عنده تبارك وتعالى، فيُنزّه الله سبحانه وتعالى عن جميع النقائص، فهذه فيها صفة سلبية؛ لأنّ فيها

نفي النقائص عن الله تبارك وتعالى، هذا معنى التسبيح، التنزيه عن النقائص، يعني: نفي النقائص عنه تبارك وتعالى؛ فهي تتضمن إثبات الكمال لله تبارك وتعالى.

ثم قال: **({تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا})**

{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ} الله سبحانه وتعالى، الحديث هنا عن الله تبارك وتعالى.

{تَبَارَكَ}: بمعنى تعالى وتعاظم، {الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ}: الذي هو القرآن، {عَلَى عَبْدِهِ}: على محمد ﷺ، {لِيَكُونَ} محمد ﷺ، {لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} لينذر الإنس والجنّ ويبلغهم رسالة الله تبارك وتعالى.

{الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} وهو الله سبحانه وتعالى، {وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} الشاهد في هذه الآية قوله: {وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا} هذه صفة سلبية، نفى عن نفسه الولد؛ لكمال غناه وكمال قدرته تبارك وتعالى، {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ} أيضاً لكمال ملكه تبارك وتعالى وكمال صفاته ليس له شريك في الملك.

ثم قال: **({مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ})**

{مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ} هذه فيها نفي الولد؛ فهي صفة سلبية، {وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ} هذا أيضاً نفي للآلهة مع الله سبحانه وتعالى؛ يعني: المعبودات ومن له الملك، فليس

معه من يشاركه في الملك ولا من يشاركه في العبادة، {إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ} يعني لو وُجد معه إله وخالق يخلق لأخذ كل واحد ماله من خلقٍ، {وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ} لأراد كل واحد أن يسيطر على ما عند الآخر، {سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ} ينزه الله تبارك وتعالى نفسه عما يصفه به المشركون؛ فإذن عندنا صفات سلبية وهي: نفي الولد، نفي الإله، وتنزيه لله تبارك وتعالى عن كلِّ ما يصفه به المشركون من الباطل، فنزّه الله سبحانه وتعالى نفسه ونفى عنها تلك النقائص.

ثم قال: **({فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ})**

يعني: لا تجعلوا لله مِثْلاً، فتقولون: مثل الله كمثل كذا وكذا، أو تجعلوا له شريكاً في العبادة؛ فهذه أيضاً صفة سلبية.

قال: **({قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ})**

الصفة السلبية هنا قوله تبارك وتعالى: {وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا} هذا مما حرمه تبارك وتعالى علينا: أن نشرك مع الله غيره؛ هذا محرم، فوجود الشريك مع الله سبحانه وتعالى أمرٌ منفيٌ؛ فهي صفة سلبية، وأيضاً قوله: {وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} يقول الشيخ ابن عثيمين هنا: لكماله؛ (فإنه من تمام سلطانه أن لا يقول عليه أحدٌ مالا يعلم) هذه أيضاً جعلها من الصفات السلبية.

هذه الصفات السلبية التي ذكرها المؤلف رحمه الله من القرآن، وهذا ما يتعلق بمسألة الصفات السلبية، ثم يرجع بنا المؤلف الآن إلى الصفات الثبوتية، إلى صفة هي من أعظم الصفات التي خالف فيها أهل البدع أهلَ السنة والجماعة، أعظم ثلاث صفات اشتهرت في مخالفة أهل البدع لأهل السنة والجماعة هي:

صفة العلو، وصفة الكلام، ورؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة.

وكلّها صفات أدلتها متواترة من الكتاب والسنة، وهي أدلة محكمة واضحة لا خفاء فيها البتة، أدلة كثيرة محكمة واضحة وصريحة يتركها أهل البدع ويذهبون إلى المتشابهات، لِما تقرر عندهم في عقولهم من باطل، من تقرير أنّ العقل مقدم على النقل، ثم قرروا أنّ هذه الصفات كلّها يلزم منها تشبيه الله سبحانه وتعالى بخلقه، وكلّ هذا باطل مجرد كلام لا صحة له، ولا أدلة عليه لا من كتاب ولا من سنة؛ هذه صفة العلو قال فيها المؤلف رحمه الله:

(وَقَوْلُهُ: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}، {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} فِي سَبْعَةِ مواضعَ فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ؛ قَوْلُهُ: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ})

أدلة علوِّ الله تبارك وتعالى على عرشه كثيرة، والعرش فوق السماوات السبع بالاتفاق بإجماع أهل العلم، والله سبحانه وتعالى علا وارتفع على عرشه؛ هذا مذهب السلف وهو أمر متفق عليه بينهم لا خلاف فيه، وجاء مصرحاً به من كلام أبي العالية رحمه الله وهو من تلاميذ الصحابة ومولى أم سلمة رضي الله عنها، وفيما أذكر الآن أنّه أخذ عن سبعين من أصحاب النبي ﷺ، فلمّا فسر هذه الآية؛ قال: (علا وارتفع") هذا كلام واضح وصريح بأنّهم يثبتون صفة العلوّ لله تبارك وتعالى، وهذه الآيات تثبت ذلك.

(الرَّحْمَنُ) الذي هو الله سبحانه وتعالى.

(عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) قال أبو العالية: (علا وارتفع)، ونحن نقول كما قال سلفنا رضي الله عنهم ولا نحيد عن ذلك كما حاد أهل الضلال.

(ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) أيضاً هذه الآية بنفس معنى الآية الأولى.

قال: (فِي سَبْعَةِ مواضعَ فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ) كلّها فيها إثبات استواء الله سبحانه وتعالى على عرشه، وهذا يدلنا على أنّ الله سبحانه وتعالى عالٍ على خلقه وهو في العلوّ.

ثم ذكر الآيات الأخر التي بعدها فقال:

(وَقَالَ فِي سُورَةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}

وَقَالَ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ: {اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}

وَقَالَ فِي سُورَةِ طَهَ: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ}

وَقَالَ فِي سُورَةِ الم السَّجْدَةِ: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ})

هذه كلّها تدل على علوّ الله تبارك وتعالى على خلقه، وكما رأيتم آيات كثيرة في كتاب الله بنفس المعنى.

والاستواء كما ذكرنا تعريفه عن أبي العالية رضي الله عنه بأنّه بمعنى: العلوّ والارتفاع، هذا إذا كان قد تعدى بـ: (على) يكون معناه العلوّ، وأمّا إذا تعدى بـ: (إلى) فيكون المعنى القصد، على قول بعض أهل العلم؛ بعضهم قال إذا تعدى بـ: (إلى) {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ} قالوا: قصدها لأنّه عُدي بحرف إلى، والبعض أيضاً قال: هو بمعنى العلوّ والارتفاع على الحالتين.

قال: (وقوله: {قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ})

هذه الآية أيضاً تدلّ على علوّ الله على خلقه لأنّ الله عز وجل قال لعيسى: {وَرَافِعُكَ إِلَيَّ}؛ إذن سيكون رفعاً إلى الأعلى، إليّ: يعني إلى العلوّ، عند الله سبحانه وتعالى.

قال: ({بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ})

كذلك هذه الآية فيها تصريح بأنّ الله سبحانه وتعالى عالٍ بذاته، فرفعُ الشيء إلى أعلى {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ}؛ يعني: في العلوّ.

قال: ({إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ})

الشاهد من ناحيتين:

{إِلَيْهِ يَصْعَدُ}: الصعود إلى الأعلى، إليه: إلى الله سبحانه وتعالى.

وكذلك قوله: {وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}.

قال: ({يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا})

هذه الآية من أساليب تلبيس أهل البدع على العباد أنّ أحد طلبة العلم كان جالساً في مجلس رجل أشعري فكان من قوله أن قال: المُجسمة -وهم يعنون أهل السنة، ويسمونهم أيضاً: الحشوية-؛ قال: المجسمة يقولون في هذه المسألة بقول فرعون، فعقيدتهم عقيدة فرعون؛ ما دليلك؟ قال: انظروا إلى فرعون ماذا قال؟ قال: {يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا} وتوقف إلى هنا، فرعون في أصله لا يعترف بوجود الله، وقد أنكر على السحرة عندما عبدوا الله سبحانه وتعالى فقال لهم: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} هو الإله فقط، ليس هناك إله أصلاً عنده، لا يعترف بوجود الله سبحانه وتعالى؛ فكيف يعترف بوجود إله موسى؛ أما هذا الكلام الذي جاء في الآية؛ فأخذه فرعون من

موسى، ويستهزئ بكلام موسى فيقول لهامان: ابن لي صرحاً لعلي أطلع إلى السماء وأرى إله موسى الذي يدعي أنّ له إلهاً في السماء؛ لذلك قال في آخر الآية: {وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ}، {وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا}.

فقام طالب العلم؛ فقال له: يا شيخ أكمل الآية: {وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا}؛ يعني الكلام كلام موسى ليس كلام فرعون.

هذا دليل قوي جداً على علوّ الله تبارك وتعالى على خلقه وأنّ هذه العقيدة هي التي كان يدعو موسى فرعون إليها.

ثم قال: **({أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ})**

من الذي في السماء؟ من الذي يخسف الأرض بالناس؟ أو يرسل الحاصب؟ هو الله سبحانه وتعالى {مَنْ فِي السَّمَاءِ} يعني: من في العلوّ، فالسماء تُطلق على معنى العلوّ وتطلق أيضاً على معنى السماء المخلوقة، والمقصود هنا {فِي السَّمَاءِ}، أي: في العلوّ، وليس معنى ذلك أنّ السماء تحيط بالله تبارك وتعالى، هذا لا يقال، فالله سبحانه وتعالى استوى على عرشه كما جاء في الآيات المتقدمة، والعرش فوق السماوات السبع كما صحّ ذلك في الأحاديث وكما أجمع عليه علماء الإسلام.

كل هذه الآيات التي تقدمت معنا والأحاديث كثيرة جداً- كسؤال النبي ﷺ الجارية: " أين الله؟" فقالت: في السماء، قال: "اعتقها فإنّها مؤمنة"- كلّها تدلّ على علوّ الله على خلقه وأنّه في السماء تبارك وتعالى مستوٍ على عرشه، هذه الأحاديث والآيات واضحة وصريحة في دلالاتها، وقد أعرض عنها أهل البدع والضلال وتمسكوا ببعض الآيات والأحاديث المتشابهة، فردّوا المحكم إلى المتشابه لأنّه يوافق أهواءهم وهذه طريقة أهل البدع دائماً؛ إمّا أن يعودوا على الدليل الشرعي بالتضعيف أو بالتحريف حتى

يتخلصوا منه؛ إمّا بالتضعيف- إذا كان حديثاً نبوياً، واستطاعوا أن يُضعفوا- ضعفوه، وعندهم أمر التضعيف سهل حتى بدون وجود حجّة حديثية صحيحة، مجرد أنّ عقولهم لا تقبل؛ يرفضونه، أمّا إذا ما استطاعوا تضعيفه؛ حرّفوه وغيّروه عن معناه المراد واستدلوا ببعض ما هو متشابه، وكما قال بعض أهل العلم: (ما من صاحب ضلالة إلّا وله دليله)، لكن هل هذا الدليل صحيح أم هو دليل باطل؛ هذه العبرة، فلمّا نظرنا إلى الأدلة المحكمة الواضحة الصريحة؛ انتهى عندنا، وقررنا العقيدة بناءً عليه، ثم بعد ذلك ما يأتي من أدلة متشابهة؛ يجب أن تردّ إلى المحكم، هكذا أمرنا الله تبارك وتعالى.

لمّا انتهى المؤلف رحمه الله من مسألة العلوّ؛ ذكر بعدها أدلة المعية؛ معية الله تبارك وتعالى لخلقه، وهذه الأدلة هي التي يستدل بها أهل الباطل على أنّ الله سبحانه وتعالى في كل مكان كما يقوله بعض الجهمية.

قال: **(قوله: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ})**

بدأ الآية بقوله: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} ثم قال في آخر الآية: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} فتمسكوا بقوله: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} وتركوا أنّه {اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}، وهكذا هي طريقة أهل البدع، أما أهل السنة يقولون لا تناقض بين الأمرين هو مستو على عرشه تبارك وتعالى، وهو معهم أينما كانوا، والمعية- معية الله تبارك وتعالى- قسمان:

معية عامة، ومعية خاصة.

المعية العامة: تشمل كل أحدٍ من مؤمن وكافر وبرٍّ وفاجر؛ كما في قوله هنا: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} انظر الآية {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى

عَلَى الْعَرْشِ} ثم ماذا قال؟ قال: {يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ} يعني يعلم ما يدخل في الأرض، {وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا} من زروع وثمار وغيرها، {وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ} من ماء، {وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا} في السماء، {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} فبدأ الآية بالعلم، فأنت عندما تريد أن تفهم الآية لا تغفل عمّا قبلها وعمّا بعدها وعن سياقها وعن سببها، وعن هذه الأشياء كلّها التي تدلّك على المعنى المراد منها؛ كلّ هذا تستحضره عند فهم الآية، فالآية في أولها تتحدث عن العلم؛ عن علمه بكلّ هذه الأمور؛ فهو معكم أينما كنتم بعلمه فيعلم ما تفعلون؛ هذه المعية العامة.

أمّا المعية الخاصة: فهي المقيدة بشخص معين كقوله تبارك وتعالى عن نبيّه: {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} هذه معية نصرة وتأييد من الله تبارك وتعالى لنبيّه، وكذلك قال لموسى وهارون: {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} وضّح معنى المعية هنا؛ أنّه يسمع ما يدور بينهم وبين فرعون من حديث، ويرى ماذا يحصل، لمّا خاف هارون وموسى من فرعون أن يتجبر وأن يطغى عليهم؛ قال الله تبارك وتعالى لهما: {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} فينتج عن السمع والرؤية هنا: النصرة والتأييد والحفظ من فرعون ومن شرّه، هذا معنى المعية هنا.

قال: **({مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ})**

لاحظ الآية وانظر عمّ تتحدث {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ} المقصود من النجوى: الحديث الذي يكون بصوت خافت، يتحدث به اثنان مع بعضهما يسمع الطرف الثاني صاحبه بصعوبة أحياناً؛ فهنا يقول الله سبحانه وتعالى{مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ} أي: هو أيضاً يسمع ما يدور بينهم ويعلم الذي يحصل بينهم، {وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ

سَادِسُهُمْ} أي: لا يخفى عنه شيء ولا يذهب عنه علم شيء، {وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ} مهما كان العدد، فالله سبحانه وتعالى معهم بعلمه؛ فيعلم كلّ شيء، {إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ} أي أنّه يعلم ما عملوا ويسمع ما قالوا ثم ينبئهم به يوم القيامة، {إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} الكلام واضح ليس فيه خفاء، كلّه يتحدث عن العلم؛ لذلك عبارات السلف كثيرة في أنّ هذه كلّها المراد منها: معية علم.

قال: **(وقوله: {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا})**

هذه المعية الخاصة، معية النصرة والتأييد، والله سبحانه وتعالى معهم، يسمع ويرى ويعلم ما الذي يحدث، وينتج عن ذلك نصرته ومعونته.

قال: **(﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾، {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ})**

معية خاصة ليست معية عامة؛ ما المقصود بالمعية هنا؟ أنّ الله سبحانه وتعالى ينصرهم ويؤيدهم ويعينهم.

قال: **(وقوله: {وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ})**

إنّ الله مع الصابرين بتأييده لهم ونصرتهم لهم وحفظه لهم.

قال: **(﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ})**

كلّها بنفس المعنى.

ثم سينتقل إلى صفة أخرى وهي إثبات الكلام لله تبارك وتعالى، وأنّ القرآن من كلامه تعالى، وهي الصفة الثانية التي حصل فيها النزاع الشديد بين أهل السنة وأهل البدع.

نتوقف إلى هنا إن شاء الله ونكتفي بهذا القدر.